

المقامات:

المقامات لغة : - (المقامة) بالضم وبالفتح تعني المجلس والجماعة من الناس لقول أحدهم :

وفيهـم مقامات حسان وجوهـها وأندية ينتابها القول والفعل

والمقامة اصطلاحاً : هي إحدى فنون الأدب العربي النثرية المطعمة أحياناً بالشعر ، وهي أقرب إلى أن تكون قصة مسجوعة أو حكاية خيالية أدبية بليغة ، ينقلها راوٍ من صنع خيال الكاتب يتكرر في جميع المقامات ، يصوره وكأنه قد عاش أحداثها ، ولها عادة بطل يمتلك أسلوباً بارعاً وروحاً خفيفة ، يتقمص في كل مرة شخصية معينة . يضحك الناس أو يبكيهم أو يبهرهم ضمن حدث ظريف فحواه نادرة أدبية أو مجموعة مسائل دينية أو مغامرة هزلية تحمل في طياتها لونا من ألوان النقد والسخرية وسقوط القيم لتمثل بذلك صورة من صور الحياة الاجتماعية في العصر الذي كتبت فيه، وتقوم على التقنن في الإنشاء والاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب ، وقد تتقدم على الشعر بمحسناتها اللفظية والمعنوية ، وتشتمل على كثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والقطع النثرية والأشعار الغزلية ، وتدخل ضمن فن الفكاهة وهدفها بالأساس تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النظم والتقنن في القول .

وقد قسمت المقامات في الأندلس على نمطين :

1- المقامة التقليدية : لها راوٍ وبطل ، تدور مواضيعها في مختلف الأغراض

والموضوعات السياسية والاجتماعية والخلقية والأدبية .

2- المقامة غير التقليدية : تقتقد إلى الراوي والبطل ومن أهم موضوعاتها

المدح الخالص ، مثل مقامة أبي عامر في الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين وهذه

المقامات كما يرى ابن بسام اقرب ما تكون إلى قصائد مدح منثورة، لا تحفل بعقدة

أو حيلة أو بطل أو راوٍ ، بيد أنها تهتم بإظهار براعة كاتبها في المدح وتلتزم دائماً

اللغة المسجوعة المزخرفة وتظهر حظّ كاتبها من البلاغة والبيان في مدح القادة

والرؤساء والأمراء والحكام ، مثل مقامة أبي بكر يحيى بن محمد الأركشي المسماة

" قسطاط البيان في مراتب الأعيان " وهي مدح للعلماء وأصحاب المعارف .

واختصت المقامة أيضاً بالهجاء مثل " المقامة القرطبية" التي أثارت جدلاً حول

نسبتها وتبرأ من كتابتها كل من نسبت إليه .

وقد دخلت المقامات الأندلس ، أثناء الحركة الثقافية المتبادلة بين الأندلس

والمغرب من جهة والمشرق من جهة أخرى ، وساهم صول مقامات بديع الزمان

الهمذاني والحريري إليهم ، في استقادة الأندلسيين منها في نصوصهم الأدبية ،

ويلاحظ خلو المقامات الأندلسية من ظاهرة (الكدية) لترفع الأندلسي ورفضه

الاستجداء والتذلل من جهة ، والرفاه الاقتصادي والتطور الحضاري من جهة أخرى

، ولذلك هي أشبه بالرسائل منها بالمقامات لغياب عنصر الكدية ، وقلة عناصر الإضحاك أو المفاجأة ، ومن هذه المقامات مقامة أبي محمد بن مالك القرطبي في مدح المعتصم بن صمادح صاحب المرية وصف انتصاراته .

وثمة مقامات لأبي الطاهر السرقسطي بلغت خمسين مقامة ، التزم فيها مالا يلزم ، فعرفت بالمقامات اللزومية وهي مبنية على السجع ، واللزوم فيها أن يلتزم السجع فيها من حرفين اثنين بدلاً من حرف واحد كما هو مألوف .

وهذه مقامة من مقامات أبي الطاهر السرقسطي يظهر فيها صنعته وأسلوبه وثقافته الواسعة ، يقول :

" حدث المنذر بن حُمام ، قال : حدثنا السائب بن عامر ، قال : لما فارقت جرجان، أريد أرجان ، برح بي الشوق وجدّ النزاع والتوق ، فسرت استصحب الرفاق ، وأجوب الآفاق ، حتى فارقت المأهول ، وركبت المجهول ... " .

المناظرات : المناظرة : كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة ، وثمة تسميات أخرى للمناظرة كالمفاضلة والمجادلة والمُحاجة والمناقشة والمنازعة والمجالسة والمطارحة والمساجلة ، وإن كانت المناظرة قد عرفت بالمشرق حضوراً ، فإنها في الأندلس لاقت رواجاً واسعاً ، فأساس المناظرة التباين والاختلاف ، وقد وجدت في الأندلس بيئتها الحاضنة لها ، ولأمت المناظرة جوانب كثيرة من الحياة

، وكان مبعثها إثبات الوجود كما كان حاصلًا بين الأندلسيين والمشاركة من جهة ،
 وإثبات الاختلاف بين البداوة والحضارة من جهة ثانية ، وتجاوز مستوى التفاخر
 والتفاضل إلى حوار الأديان ، والذود عن حمى الإسلام من جهة ثالثة . من ذلك
 مناظرات الباجي وابن حزم الأندلسي في الفقه ، ومناظرات فلسفية كتلك التي
 حدثت بين ابن رشد والغزالي ، ومناظرات الجمادات والنباتات وهي تجري على
 ألسنة غير البشر من نباتات وأشياء ، والمناظرات الخيالية، مثل مناظرة ابن برد
 الأصغر بين السيف والقلم :

فقد مهد ابن برد للمناظرة بتأكيد اعترافه بفضل كل من السيف والقلم وتساويهما
 في الأهمية والمنزلة، هما يجريان على نسق واحد كنجمين مضيئين ، وإن التحاسد
 بينهما مذموم ولكنه نشأ من محاولة كل منهما العلو على صاحبه ، ولأن ابن برد
 من الكتاب فقد أثر أن تكون الكلمة الأولى للقلم الذي افتتح الجلسة مكبراً وقد ملأ
 الفخر جوانبه، كيف لا وأول ما أنزل قوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق " بل
 وقد أقسم الله تعالى به فقال "ن والقلم وما يسطرون" .

ويفخر القلم بهذه المكانة التي حازها ثم ينتفض السيف فيرد عليه : إن السعيد
 من يحمله ، والمهدي من يتخذه ، بل يفتخر بأنه يبتسم ساعة الأجل ويقضي بلا

إنصاف ، ثم يعمد ابن برد إلى المساواة بين السيف والقلم حسماً للمفاخرة فيقول في ختامها :

قد آن للسيف ألا يفضل القلما

مذ سُخِّرَا لفتى حاز العلا بهما

إن يُجتى المجد غصاً من كئامه

فأنه يُجتى من بعض غرسهما

ومن المناظرات غير الخيالية ما تجري فيه المناظرة بين مدن الأندلس ومدن المغرب كمفاخرات (مالقة و سلا) للسان الدين بن الخطيب ، وكانت مالقة أيام الدولة الإسلامية ، أما (سلا) فهي مدينة رومانية قديمة أقصى المغرب وقد فضل لسان الدين مدينة مالقة .

الأمثال : يرى الدكتور إحسان عباس أن أول ما قدمه النثر الأندلسي في ذلك العصر أسلوباً ومضموناً هو تلك الألفاظ الموجزة المعبرة والكلمات الجامعة التي تجري مجرى الحكمة والمثل من ذلك :-

1- القلم يشرب ظلمة ويلفظ نوراً .

2 - على غيث القلم يتفتح زهر الكلم .

1- التعليم فلاحه الأذهان وليست كل أرض منبته .

2- الفاضل في الزمن سوء كالمصباح في البراح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح.

تطور النثر في مختلف أطوار العصر الأندلسي:

1- عرفت في الصدر الأول من الفتح نماذج قليلة من النثر اقتضتها ظروف الفتح كالخطابة التي تتطلبها مناسبات سياسية و دينية ، والكتابة التي اقتضتها ظروف الحكم وكتابة العهود والرسائل والتوقيعات ، وهو نثر تغلب عليه المسحة المشرقية من حيث الميل إلى الجزالة وقوة العبارة وعدم اللجوء إلى المحسنات .

2- في عهد بني أمية والطوائف ظهر نوع من النثر المتأثر بنثر الجاحظ، كما ساهم الحكام في تشجيع الكتاب على التألق وإسناد الوزارات إلى أصحاب الحذق والمهارة كما فعل المعتمد بن عباد عندما انتدب الأديب الشاعر ابن زيدون لرئاسة الوزارة وإمارة الجيش فلقب بذي الوزارتين السيف والقلم .

3- في عهد المرابطين ظهرت طائفة من الكتاب عنييت بالكتابة الإنشائية والتأليف في مختلف الأغراض .

4-و في عصر الموحدين انتشرت المكتبات التي تضم الكتب النفيسة وانبرى الكتاب على التأليف والإبداع ومن ذلك كتاب " المطرب من إشعار أهل المغرب " لابن دحية وكتاب " اختصار الأغاني " للأمير أبي الربيع الموحدي .

وفي عهد بني الأحمر اتسعت النماذج النثرية وامتدت امتداداً واسعاً فصدر عن الكتاب النثر الديواني الذي يضع الرسائل والكتابات على الشواهد والقبور ، والنثر الإخواني بين الكتاب وذوي السلطة وبين الكتاب أنفسهم ، والنثر الوصفي الذي يتناول وصف الشخصيات ، ووصف المدن والرحلات مثل رحلة البلوي خالد بن عيسى وعنوانها " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " .

وكثر التأليف في المقامات التي عنيت بتسجيل هموم الحياة وخرجت من الكدية والاستجداء إلا في القليل منه ، ومنها "مقامة العيد" التي استجدى فيها الأزدي خروف العيد ليرضي زوجته .

سمات النثر الأندلسي وخصائصه الفنية :

-على الرغم من تأثر الكتاب الأندلسيين بأساليب المشاركة وطرائقهم الفنية ، فقد كانت هناك خصائص امتاز بها نثرهم لاسيما (التراسل) ، فقد اتخذت رسائلهم أو كتبهم في بنائها شكلاً فنياً يختلف في بعض جزئياته عن الرسائل المشرقية التي كانت تبدأ في الغالب بالبسملة والحمد والصلاة على الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، صارت في الأندلس تخلو من الاستفتاح المعروف وتبدأ بالدعاء للمرسل إليه وتعظيمه أو بالمنظوم أو بالدخول في الموضوع مباشرة .

-تتوعد أساليب الإنشاء بتتوع الموضوعات إلا أن الكتآب حرصوا على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأكثروا من توظيف الجمل الدعائية والمعتضة ، وبالغوا في إبراز الصور البيانية واهتموا باستعمال المحسنات ، وارتقوا بأسلوب التعبير حتى بدت بعض رسائلهم وكأنها شعر منشور كما في رسائل ابن زيدون .

أعلام الكتآب في الأندلس :

-ابن عبد ربه (ت 328 هـ) : كان شاعراً وكاتباً وله في النثر كتآب "العقد الفريد " مع الكثير من المختارات الشعرية النثرية .

- أبو عامر بن شهيد الأندلسي (ت426هـ) : كان شاعراً وكاتباً ومن آثاره النثرية الخالدة رسالة " التوابع والزوابع " وهي قصة خيالية يحكي فيها رحلته إلى عالم الجن واتصاله بشياطين الشعراء والكتب ، وهي قصة طريفة مشوقة عرض من خلالها آراءه في اللغة والأدب

- ابن حزم الأندلسي(ت 456هـ) : اشتهر شاعراً وكاتباً ومؤلفاته النثرية كثيرة أهمها رسائل ابن حزم الأندلسي وكتآب "طوق الحمامة في الألفة والألاف " .

- ابن سيده (ت458هـ): كان عالماً بغريب اللغة من مؤلفاته كتاب "المخصص" .
- ابن شرف القيرواني (ت 460) : ناقد وكاتب له ديوان شعر .
- ابن زيدون (ت 463 هـ) : كان شاعراً فحلاً وكاتباً مجوداً له رسائل جدية وهزلية كثيرة .
- ابن الدباغ : نشأ في سرقسطة كان فصيحاً وبليغاً من بلغاء القرن الهجري، له رسائل يغلب عليها الاتجاه الاجتماعي والشكوى من الزمان .
- ابن طاهر (ت5.7هـ) : له كتابات في الجهاد وكتب في موضوعات الرسائل الإخوانية وفي الفكاهة والهزل .
- ابن أبي الخصال الغافقي (ت540هـ) : له كثير من المقامات وشارك في نمط من الرسائل عرفت بالزرزوريات .
- ابن بسام الشنتريني: له كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (الأندلس) وفضلها شعراً ونثراً .
- محمد بن عبد الغفور الكلاعي (ت545هـ) : ألف كتاب "إحكام صنعة الكلام في النثر وفنونه" .

- ابن طفيل (ت 581هـ) : كان طبيباً وأديباً وفيلسوفاً اشتهر بقصته "حي بن يقظان" التي تعد من أعظم الأعمال القصصية الفكرية في العصور الوسطى والهدف منها الوصول إلى معرفة الخالق عز وجل والإيمان به.
- أبو الحاج بن محمد البلوي (ت604هـ) : يعرف بابن الشيخ كان أديباً وناقداً من مؤلفاته "ألف باء" وهو أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة صنعه ليتأدب به ابنه عبد الرحيم .
- ابن جبير (614هـ) : شاعر وكاتب له الرحلة المشهورة وقد دونها بأسلوب جزل رصين سهل التراكيب وهي من رحلاته المشرقية الثلاث .
- محي الدين بن عربي : صاحب المؤلفات الصوفية منها "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم" و"الوصايا" .
- ابن الأبار : ومؤلفاته تربو على خمسة وأربعين كتاباً منها "تحفة القادم" و"التكملة" "المعجم" و"درر السمط في خبر السبط" .
- حازم القرطاجني (684) : كان شاعراً ونحويّاً وبلاغياً وناقداً وأشهر كتبه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" .
- أبو البقاء الرندي : كان أديباً شاعراً وناقداً من كتبه "الوافي في نظم القوافي" وهو من كتب النقد والبلاغة .

- ابن الجياب (ت749هـ) : كان رئيس كتاب الأندلس في عهد بني الأحمر وتخرج على يديه كثير من أهل العلم والأدب ومنهم لسان الدين بن الخطيب
- لسان الدين بن الخطيب : من آثاره النثرية "الإحاطة في أخبار غرناطة" "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" و"نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" و"خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف" وله رسائل كثيرة جمع قسماً منها في كتابه "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" .